التاريخ:01/10/2010 الشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال

سلسة فقه الأولويات

(أولويةُ اليقين على الشَّك)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله.أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإن التقوى أفضل ما تواصى به الخلق ونحن يا قومي عما قريب ذاهبون يودع بعضنا بعضا. تودع صديقك تارة وقريبك أخرى، تودع جارك أخرى وشريكك أخرى، وفي يوم من الأيام لابد أن تذهب أنت إلى دار ليس فيها إلا الحسنات والسيئات، إنه من كثرت حسناته نجا ومن كثرت سيئاته فحاله غير حال النجاة، فقدموا لأنفسكم إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومني عمل مثقال ذرة شرا يره.ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمن:7-9].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**)) [مسلم]

يشير كلا الدَّليلين إلى أنَّ للأمور الإيمانية والحياتية أوزاناً ومراتب، فبعض الأمور أوزنُ من بعض, وبعضها أهم من بعض, وبعضها أفضل من بعض، ويقضي الشَّرع والحكمة والعقل تقديمَ الأهم على المهم, والفاضلِ على المفضول والأحسن على الحسن..

عنوان خطبة اليوم: ((فقه الأولويات))

عرضتِ الخطبُ الأربعُ الماضية لسبعة معالمَ من معالمِ فقه الأولويات، نسترشد بها في حياتنا الدينية و الدنيوية. وتعرض خُطبة اليوم لمعلَمٍ مُهم ثامن, به أُنهي هذه المجموعةَ من الخطب في فقه الأولويات لأحيلَكُم في نهاية الخطبة إلى أهم المراجع التي تُعينكم على التعرف أكثرَ على معالمَ أُخرَ في فقه الأولويات..

المعْلَمُ الثامنُ:أولويةُ اليقين على الشَّك:

هذا المعْلَم يتقاطعُ مع قاعدة فقهية قانونية عقلية شرعية من أهمِّ القواعد التي عليها مدارُ الأحكام, وقد قيل إنَّها تدخل في جميع أبواب الفقه، وهي: "اليقين لا يزول بالشَّك".

واليقين لغةً: العلم الذي لا تردُّدَ معه, والشَّك: التَّردد بين النَّقيضين، لا ترجيح لأحدهما على الآخر.

ومعنى القاعدة: أنَّ ما كان ثابتاً متيقناً, لا يرتفع بمجرد طروءِ الشَّك عليه؛ لأنَّ الأمر اليقيني لا يُعْقَل أن يزيلَهُ ما هو أضعفُ منه، ومن تطبيقات هذه القاعدة في الفقه:

- مَنْ تيقَّنَ الطَّهارةَ وشكَّ في الحدث: مَنْ تيَقَّنَ الطَّهارةَ وشكَّ هل نامَ بعد الوضوء أو لا, هل لمس امرأةً أجنبيةً أو لا, هل دخل بيت الخلاء أو لا؟.

قال جمهورُ العلماء هو مُتَطَهِّرٌ؛ لأنَّ العملَ باليقين أولى من العمل بالشَّك، ولأنَّ اليقين لا يزول بالشَّك.

عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ: أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلاة، فَقَالَ: ((**لَا يَنْفَتِلْ أَوْ لَا يَنْصَرِفْ حتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**)) [البخاري ومسلم]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إِذَا أَتَى أَحَدَكُمُ الشَّيطان فِيْ صَلَاة فقال: إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ فَلَا يَنْصَرِفَنَّ حتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**)) [الطبراني في الأوسط]

وعكس هذه المسألة: من يتقَّنَ الحدثَ وشكّ: هل توضأ بعدَهُ أو لا؟ قلنا بأنَّه مُحدثٌ؛ لأنَّ العمل باليقين أولى من العمل بالشَّك، ولأنَّ اليقينَ لا يزول بالشَّك.

من شك في صلاة العصر: هل صلَّى ثلاثاً أو أربعاً؟ بنى على اليقين الذي هو الأقل، أي: الثَّلاث, وصلى رابعةً ثمَّ سجد للسَّهو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحْ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ)) [مسلم]

ومثله من شك في عدد الطَّواف حول الكعبة ثلاثة أشواط أو أربعة, خمسة أو ستة، بنى على الأقل وهو اليقين، وأتمَّ الباقي.

- ومن تطبيقات هذه القاعدة في القضاء: أن مَنْ غاب عن أهله غيبةً منقطعةً بحيث لا يُعْلَم موتُهُ ولا حياتُهُ, لا يجوز لأحدٍ قسمةَ ماله بين ورثته, لأنَّنا نعمل باليقين السَّابق وهو حياته, واليقين لا يزول بالشَّك إلى أن يُعْلَم موتُهُ بالبينة أو بموت جميع أقرانه.

- ومن تطبيقات هذه القاعدة في الحياة: أن مَنْ تيقَّنَ أمانةَ رجلٍ فشاركه وعامله في التِّجارة، وتيقَّنَ أمانتَهُ نظراً بعد خبرٍ, ثمَّ إنَّه سمع عنه كلاماً من النَّاس –من دون بيِّنةٍ– إنَّه خائنٌ، فداخلَه شكٌّ فيه, فالصَّوابُ أنَّه يبقى عنده أميناً موثوقاً حتَّى يثبتَ العكسُ بالدَّليل؛ لأنَّ اليقينَ لا يزول بالشَّك، والعمل باليقين أولى من العمل بالشَّك..

- ومثله: مَنْ تيقَّنَت صلاحَ زوجها واستقامته, ثمَّ نما إليها –من دون بيِّنةٍ– أنَّه ينظُرُ إلى المحرمات, فليس لها أن تُؤثِّمَه أو تخاصمه بناءً على شكٍّ طرأ على يقينٍ فتُعكِّرَ صفوَ بيتها وأسرتها, بل الصَّوابُ أن يبقى في نظرها صالحاً أميناً حتَّى يثبت العكس بالدَّليل؛ لأنَّ اليقين لا يزول بالشَّك، والعمل باليقين أولى من العمل بالشَّك.

- وعكسُ هذه المسألة: من أيقنَ في زوجته العفافَ والطُّهر, ووسوس إليه الشَّيطان ومَن لا يخافُ الله بعكسِ ما يعرفُهُ عنها من دون بيّنةٍ، فليس له أن يتنكرَ لزوجتِهِ، أو ينقلبَ عليها؛ لأنَّ العقلَ والشَّرعَ متفقان على أنَّ اليقين لا يزول بالشَّك, واليقين أولى من الشَّك.

أيُّها الإخوة:

هذا شيءٌ من الشرح لهذا المَعْلَم من معالم فقه الأولويات، وبه نكونُ قد أنهينا ثمانيةَ معالم من معالم هذا الفقه، وهذا الفهم المهم لكل مسلمٍ فينا بل لكل إنسانٍ عاقل..

1. أولويةُ العلم على العمل.
2. أولويةُ الفرائض على السنن.
3. أولويةُ العمل الدائم على العمل المنقطِع.
4. أولويةُ العمل المتعدي النفع على القاصر.
5. أولويةُ التخفيفِ والتيسير على التشديد والتعسير.
6. أولويةُ الكيف على الكم.
7. درءُ المفاسد مقدمٌ على جلبِ المصالح.
8. أولويةُ اليقين على الشك.

في الختام: سلسة فقه الأولويات أذكر لكم أهم المراجع التي تعين على التَّعريف بفقه الأولويات:

- كتابُ "قواعد الأحكام" للعزّ بن عبد السَّلام.
- وكتابُ "فقه الأولويات" للدُّكتور يوسف القرضاوي.
- وكتابُ "شرح القواعد الفقهية" للشَّيخ أحمد الزَّرقا.

وسائرُ كتبِ القواعد الفقهية.

والحمد لله ربِّ العالمين